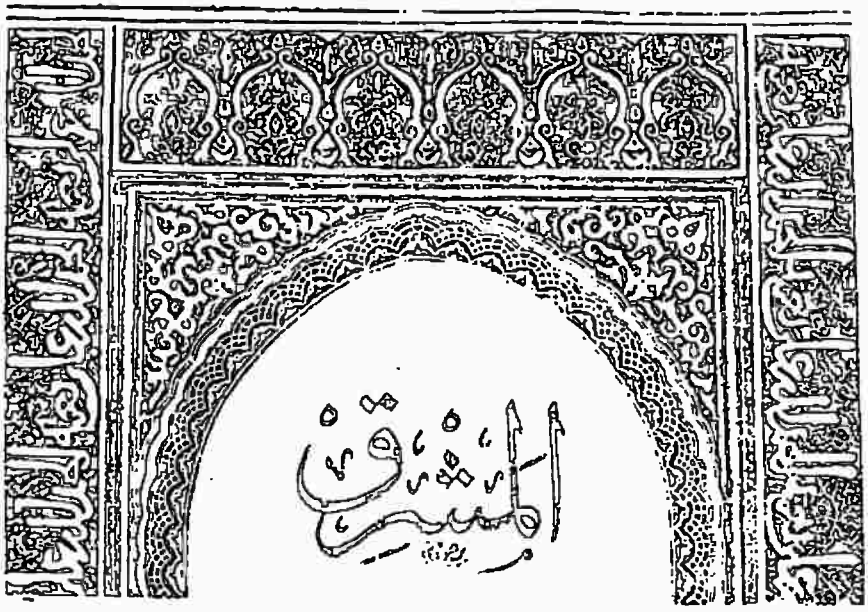

السنة الثلاثون

آب وايلول ١٩٣٢

«نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي

بقلم ولده الشماس بولس

عني بطبعها وتعليق حواشيها الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي»

نظرة نقدية

لحبيب زيات (افالون: فرنسة)

اشهر البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي وابنه الشماس بولس بالبحث عن اخبار الكنيسة الانطاكية، واستقراء حوادثها وشؤونها والتنقيب عن ماضي اسقفياتها والاعمال الراجعة اليها، وتقييد تراجم كل من نشأ فيها او انتسب اليها من رجال الدين والنساك والقديسين. والاول منهما في كل ذلك كتب واجزاء شتى جمعها في حضره وسفره، كانت طائفة منها محفوظة عند الطيب الذكر البطريرك غريغوريوس حداد. وكان، رحمه الله، حريصاً عليها اشد الحرص يضن على كل احد بمطالعتها او استنساخ شيء منها. ولذلك يجب ان يُعد من حسناته اهداؤه اياها سنة ١٩١٣ لنقولا

الثاني قيصر روسية ، بحيث سهل هنالك لطلاب العلم مراجعتها عند الحاجة ونقل ما يراد منها. والثاني مخطوط بقلمه جمع فيه اخبار انطاكية وبطاركتها. ولكنه لسوء الحظ مخروم ناقص من اوله وآخره. ولعله وقف فيه عند خراب انطاكية على يد الملك الظاهر بيبرس البندقداري . وله في ما سواه رحلة والده المشهورة الى البلاد المسيحية ومنها ثلاث نسخ في لينغراد وموسكو ، ونسخة في لندرة . وهي كلها لا تخلو من بعض النقص ، وان لم ينتبه احد عليه ممن ترجم هذه الرحلة الى الانكليزية والروسية. وخير من هذه النسخ جميعها الاصل المحفوظ في باريس ، وهو في اثنين وثلاثين كراساً ، منها خمسة وعشرون بخط بولس نفسه ، وسبعة بقلم ناسخ آخر مجهول . وفي اوله وآخره بعض صفحات جمع فيها الشماس ما وقف عليه من تاريخ البطاركة منذ انتقالهم من انطاكية الى دمشق ، وروى في خاتمتها بعض اخبار والده واحوال الكرسي بعد رجوعها لدمشق .

وهذه الروايات والنقول التاريخية الواردة في كتب البطريرك وابنه هي مصدر كل ما كُتب عن الكنيسة الرومية الانطاكية الى اليوم . وعنها اخذ البطريرك اثناسيوس الدبّاس واخوري ميخائيل بريك ما دوّناه في تاريخيهما. فهي المموّل الوحيد والمرجع الاول لكل من تكلّف الكلام على الكرسي الانطاكي منذ القرن السابع عشر . وهذا ما حدا حضرة الاب قسطنطين الباشا ، بعد وقوفه على ما كانت جريدة « المحبة » هي البادئة بنشره منذ سنة ١٨٩٩ ، على اقتطاع هذه الفصول التاريخية من مخطوط الخزانة الاهلية في باريس ، وطبعها بعد تعليق بعض الحواشي عليها . ثم الحقها بذيل حاول فيه اثبات كثلكة البطريرك مكاريوس . فجاء من كل ذلك مجموع حسن حريّ بالمطالعة اهل لان تشغل مكانه بين آثار الكنيسة الملكية

وقد عرف القراء منزلة الخوري قسطنطين في ارتياد اخبار السلف من اصدق مظانها ، وانفراده بين رجال رهبانيته بالمطالعة والكتابة واهتمامه الدائم بالبحث والتنقيب وتكلفه مشاقّ السفر الى رومة وباريس توصلاً الى ضمّ شتات التاريخ الملكي والاستئثار بما تصل اليه يده من الاوراق والاسفار ، بحيث اجتمع له

من الفوائد والتعليقات والصحائف والمخطوطات على ندرتها وتفرّقها ما لم يجتمع لاحد غيره من رجال الكهنوت، مطرساً بذلك على آثار سلفه الشماس بولس. ولذلك كان يحقّ لنا ان نتنظر من مثله ، في كلامه على الشماس في المقدمة ، ان يتوسّع في ترجمته وشرح اخباره ، ويستقصي ما استطاع في تعريف كتاباته ومصنفاته، والتنبيه على خصائص انشائه، وايفاء خدمته التاريخية حقها من التقدير والنقد دون ميل ولا أثرة . واذا كان كل ذلك لا يتيسر فاقلّ ما كان يجب عليه ان يسعى جهده في معارضة نسخة باريس بنسخة لندرة ، اذا كانت نسخ لينغراد وموسكو تفرّ عليه . ويستعين بهذه المقابلة على الاشارة الى ما بين هذه النسخ من الخلاف وتصحيح احداها بالاخرى ، وتعريف مواضع النقص التي توجد في نسخة باريس ، كبعض بياض في الصفحات او ما بين السطور وسقوط بعض ارقام السنين كالتي ترى في الصفحتين ٣ و٤ ، وما اشبه من الامم التي لم يكترث لها حضرة الاب ولم يدلّ عليها في طبعته. فبدلاً من هذا كله لا نجد ، بكل اسف، في كل هذه المقدمة التي احتفل في تحريرها سوى الافراط في تقريظ الشماس بولس والثناء عليه والافاضة في نقل المبتذل المشهور من اخباره مما لا يتعذّر ادراكه لاول وهلة على مطالع رحلته ، او مما سبق ايراده لكل من تكلم قبله على المؤلف وكتاباته. وغاية ما اطرفنا به حقيقة من علمه الخاص ذكر النسخة الحلبية التي وقف عليها في القلية المطرانية ، وتاريخ كتابتها سنة ١٧٥٠ .

فلا بد لنا اذاً من الاكتفاء بنسختي باريس ولحاب على قلة ما بينهما من الخلاف في رأيه . وقد عارض الواحدة بالاخرى قال : « فلم اجد فرقاً مهماً الا بالنقصان بل انّ نسخة باريس اصحّ واكمل النسخ كلها واقدمها ولعلّها تكون الاصلية » . ولم يصرّح لنا اي نسخ يعني في ما عدا الحلبية . وقد اعاد مثل هذا القول في الحاشيتين ١٦ و١٨ وسمى منها المخطوطات الروسية والنسخ المنقولة عن الشماس وابيه (كذا) . وما ندري ما يعني بهذه الاخيرة ، ولا محلّ ابي بولس منها ، كأنه يوجد نسخ منقولة عن غير الشماس . وعلى كلّ فاذا كان يريد بهذه النسخ مخطوطات لندرة ولينغراد وموسكو فذكره لها يقتضي

بالطبع انه وقف عليها او على الاقل انه راجع ترجماتها . ومن ثمّ فقد كان يجب عليه ، وقد امكنته مقابلة بعض مواضع من نسختي باريس وحلب عليها ، ان يفصل مثل ذلك بسائر الكتاب ، وفيه بعض عبارات مبهمة تحتاج الى الايضاح فضلاً عن الابتر منها والناقص . ومن الغريب اغفاله ذلك ، والمقام مقام تاريخ ، وقيمة مثل هذه المعارضات لا تخفى على احد ولاسيما على مؤرخ نظيره .

واغرب من ذلك جدًا — وهو ما يستريب الناظر فيه لاول وهلة بصره وسمعه — ان حضرة الاب ، بعد ان كتب ما نقلناه آنفاً عن نسخة باريس انها « اصحّ النسخ واكملها واقدمها » وعدّ وقوفه عليها « اكتشافاً » مع ان البرنامج المطبوع في باريس كان قد سبق ونبّه عليها منذ سنة ١٩٠١ ، اي قبل زيارته باربع سنوات ، وبعد ان صرّح في المقدمة والذيل تكراراً انه « ابقى الكتاب على اصله لم يحذف ولم يغير منه شيئاً حرصاً على قيمته التاريخية » ، لم يلبث ان تناسى ما رهن لسانه به حرًّا مختاراً ، واطلق العنان لقلمه في تغيير ما عنّ له دون اقلّ تورّع او تحرّج ولم يقتصر فقط على التصرّف بلغة الكتاب ، بل تعدّى الى بعض المواضع التاريخية فاسقط بعضاً وبدّل بعضاً . وكنا نظيره قد نسخنا من مخطوط باريس ، في ما عدا القسم التاريخي ، كل ما رأينا فيه الفائدة من تعريف حال المؤلف ووالده وحكاية بعض اخبارهما وما جرى لهما وعايناه في هذه الرحلة الطويلة الشقّة . فلما قابلنا ما عندنا على طبعة النخبة رأينا في هذه من الابدال والاسقاط والتغيير والتشويش وبعض السهو والنقصان ما صعب علينا تصديقه وخامرنا الشكّ من اجله في صحة نسختنا وسلامتها تماماً من بعض الشوائب واغلاط النقل . فارجأنا الحكم في ذلك الى ان تتهيأ لنا مراجعة المطبوع رأساً على نسخة الامّ في باريس . وقد انجزنا اليوم هذه المقابلة عارضنا بها الروايتين كلمةً كلمةً وسطراً سطراً ، فثبت لنا بعد التدقيق ان ما نقلنا في البدء على النخبة المطبوعة صحيح لا جدال فيه ولا مراء . ولا يمكن الاعتذار عن صاحبها بانه نقل ما في النسخة الحلبية لانه صرّح في المقدمة انه اعتمد على نسخة باريس ، وهي التي شهد انها اصح النسخ واكملها واقدمها بل انها قد تكون بقلم المؤلف نفسه . فالعدول عن مثلها الى رواية ضعيفة او مرجوحة

لا يمكن ان يُعقل من مؤرخ لبيب نظير الخوري قسطنطين فلا ريب اذاً ان النسخة التي ابرزتها لنا في هذا القالب الغريب مطبعة حريصا هي نسخة باريس المزعومة. ومما يشهد بذلك ان النسخة الحلبية تنتهي في الصفحة ٧٢ ، وما يليها الى آخر الكتاب منقول عن مخطوط باريس . ومع ذلك ففي هذا القسم الاخير نفس ما في القسم السابق من التبديل والحذف والتصرف المنكر مما يدلّ على ان متولي النقل والطبع هو المسؤول عن هذه المساوئ فرطت منه سهواً على كثرتها وخطرها لقلة اكتراثه لها ولاعتداده اياها هنات يسيرة لا تمسّ جوهر الكتاب. وعلى كل حال فاقلّ ما كان يجب عليه ان لا يدعي في المقدمة انه ابقى الكتاب على اصله لم يغيّر منه شيئاً ، كأنه يهزأ بقرائه او يتورّع من قول الحق لهم . وما كان احراه ان يسكت عن ذلك كله ، ويعترف صريحاً بتصرّفه بعبارة الشماس ، ويستغني بمثل هذا الاقرار عن التماس العذر الواهن له لركاكة لغته ، كأنه هو المؤاخذ بهفواته ، ناسياً انه لا تزر نفس وزر اخرى وان في شرع الكنيسة لا يُطالب الخوري بذنوب الشماس.

ولو اردنا ان نسرد كل الاختلافات والفروق التي وجدناها بين المطبوع ومخطوط باريس لامتدّ بنا نفس الكلام ولم يكفنا كتاب برمّته اذ كانت لا تكاد تخلو صفحة واحدة من بعض التغيير قلّ ام كثر . فلا مندوحة لنا عن الاكتفاء بامثال منها ، وتعداد اهم ما رأينا الفائدة في التنبيه عليه من حيث اللغة والتاريخ . وقبل الشروع في ذلك لا غنى ايضاً عن تقديم بعض الشرح وتعريف انشاء الشماس بولس وهو الكاتب المغرور الذي كان يعتي النفس بالتشبّه «باهل الفنّ في ترتيب تنسيق الاقوال» كما قال بلفظه في خطبة الكتاب. فكان اقصى همه الاكثار من التزويق والتنسيق كلما وجد اليها سبيلاً دون ادنى مراعاة منه لمقتضى الحال . وكان ، ككثير من كتبة زمانه المتحذلقين ، يرى ان الفصاحة قائمة في الاستزادة من المترادفات وتكرار المعنى الواحد بالفاظ مختلفة لغير حاجة سوى المباهاة بكثرة المحفوظ منها . وان البلاغة الحقيقية منحصرة في التزام الاسجاع في كل معنى ولغير معنى ، ولو بمخالفة كل ذوق وقياس. ولذلك جاء منها بالثقيل البارد ودسها بين كل سدى ولحمة . واطال

بها ذيل رحلته بما كدر صفوها ، وجعل المطالع والناقل لما يتبرم منها ويخرج صدرًا بكثرة اللغو والتكرار الفارغ وغلبة اللحن والسقط فيها ، فضلًا عن اعتراض بعض الالفاظ العامية والمصطلحات الحلبية الدخيلة من التركية وهي ما لا يتهيأ فهمها وادراك معناها الصحيح لكل احد ممن حاول ترجمتها لقلة الفتة بها وعدم ورودها في المعاجم . وقد وقفنا على بعض صفحات نقلت الى الفرنسية من الترجمة الروسية بقلم وطنينا المرحوم جرجي مرقص الدمشقي فوجدناها لا تتبرأ من الوهم والخطإ في بعض مواضع تصحف فيها الاصل عليه او اساء فهمها فاساء تأديتها . فما الظن بغيره من النقلة الاجانب !

ومن بعض الامثال على ولع الشماس بالمرادفات لغير طائل قوله (ص ٣٩) في كلامه عن اهل حلب : « اينعوا واثمروا وغوا وزادوا وتكاثروا » . وقوله (ص ٤٤) يصف عودة والده مطراناً الى حلب : « عاد بالابتهاج والحبور وقبله المسيحيون والتقوه بكل فرح ووقار وسرور » . وقوله (ص ٤٧) يصف ايضاً زيارته مع والده لاورشليم : « يا لها من حسن زيارة قضيناها بالفرح الرباني والسرور النفساني وبالتسبيح والتقديس والتهليل والصلوات المتصلة بالتلحين والترتيل » . ومثله (ص ٤٩-٥٠) « صار لحضرة مطراننا حسن التقاء بغاية الاحتفال بتوقير وتكريم واحترام واجلال » . وقوله اخيرًا (ص ٩٨) « لما نظر الاب السيد البطريرك تكاثر الديون وتفاقمها وازديادها على الكرسي الانطاكي وتراكمها » وهلم جرًا من اشباه هذا اللغو السخيف الذي كان يستفرغ فيه جعبة محفوظه من اللغة دفعة واحدة .

واما السجع فقد بلغ من تهوسه به انه التزمه في كل مقام ومقال حتى في حكاية بعض الاخبار التافهة وسرد بعض الارقام او في تأريخ الايام مما لا محل لاقل تأنق فيه . وربما خالف من اجله كل قياس كقوله (ص ٤١) « وقد تم هذا القول بغير اشتباه في هذا الاب الفاضل وابناه . » وفي (ص ٤٨) « خرجنا منها قاصدين مدينة صهيون والى الوصول اليها بالمجد ماضيون . » وله في نسخة باريس (ص ١١٧-١١٨) اربعون سطرًا كاملة التزم فيها السجع بالنون ، ولعله اراد فيها تقليد فواصل القرآن . فجاءت مشحونة باقبح الاغلاط واشنع التخليط

والافساد . كقوله : « قلوب القاسيون . وشعورهم المضفورون . ولم يكون . ومع الموتى ماضيون . يا جابر المكسورون . انت خير الرازقون . مع العرب المجانون . ارحمنا نحن الساكون . » (جمع مجنون ومسكين لتوهمه ان الجمع القياسي مجانين ومساكين هو جمع المنصوب والمجرور فقط دون المرفوع) . وكثيراً ما كانت السجعة تجيء مقسرة زائدة لا داعي لها كقوله (ص ٤٠) « بعد وصول السعاة الى حلب صيّره بطركاً عليهم وسمي افتيميوس ونجب . » وفي (ص ٤٣) « بعد ان وصل بالصحة والسلامة وقد شرطنه عليهم نهار الاحد . » وفي (ص ٥٥) « شرطن معه الفقير مترخه ارشيدياكون اي رئيس شمامسة على مدينتي دمشق وحلب وساير بلاد العرب وخصصه بهذه الرتبة ووهب . » وكفى بهذه الشواهد دليلاً على طريقة الشماس وتعمله في اختيار هذه الاسجاع النافرة المختلة .

وقد تتبع الخوري قسطنطين كثيراً من هذه التراكيب والفواصل فاصلح قسماً واسقط الآخر . والامثلة القليلة التي اوردناها كلها مغيرة في طبعته ، سردناها عن نسخة باريس . ومن اعمل النظر في النخبة لم يصعب عليه ردّ كثير من هذه الاسجاع الى نصابها ، وتبيّن له اسلوب الشماس في كتابة هذه الرحلة التي طمع ان يحذو فيها حذو العماد الكاتب او ابن عربشاه واضرابها في ما وضعوه من التواريخ المسجعة القريبة . فانه بنى اكثر فصولها على السجع بحيث كان الاخلال بجانب منه او تبديله هدفاً لبنيان عبارته وازالة لمسحتها الخاصة . ولا يخفى ما في ذلك من قلة الامانة والافساد ولو عدّه البعض اصلاحاً .

ولا بأس زيادةً في الايضاح ان نورد ههنا انموذجاً بيّناً من هذا التصرّف الجائر الذي تصرّفه حضرة الخوري قسطنطين في بضاعة الشماس . وحسبنا ان ننقل جانباً من الصفحات ٥٤ و٥٥ و٤٤ و٤٥ يغنينا عن تتبع نظائره في سائر الكتاب . وقد جعلنا ازاء طبعة حريصا متن باريس لتسهيل المقابلة بينهما . وبدأنا بالثاني اذ كان الاصل .

قال الشماس بعد ان ذكر وفاة البطريرك افتيميوس الصائغي واستدعاء اهل دمشق لوالده مكاريوس ليكون خلفاً له :

ص ٥٤-٥٥

وكان الباشا حينئذ في الشام محمد باشا الكوبرلي المكرم الذي صار فيما بعد وزير اعظم

... وصار فيما بعد مجمع للراي والمشاورة وضبطوا جملة الديون التي بالدفاتر مسطرة اعني التي خلفت على المرحوم البطريرك الراقد فجمعت نحو ستة آلاف غرشاً بالربا والفوايد وضبطوا ايضاً جملة ما انفقوه على دفنه وتجهيزه وحشره وتجنيزه وعما أصرف عن اخراج البيوردي من الباشا باسم البطريرك الجديد كالفوايد وما اخرجوا على تقرير ذلك حجج شرعية برضاء المجمع اعني كافة الرعية وذلك لاجل عدم المنازعة والمقاومة حذراً من تجديد الامور المتقادمة وكان جملة ذلك الاصراف غروشاً نحو من اربعة الاف فيكون جملة ما ترتب من الديون الافاً عشرة مضبوطة بجملتها محررة فقلبوها لاربابها بالفايدة وفي مدة قليلة صارت ثلثة عشر الفاً وزايدة وعلى هذا المبلغ المذكور قد ارهنوا التاجات الاربعة القديمي والكبيري والحلبي والاسطنبولي وبقية البدلات وآلة القدس اوهنوا

وكان في الشام محمد باشا الكوبرلي المحترم

... ثم انه صار فيما بعد مجمع للراي والمشورة وضبطوا جملة الديون التي بالدفاتر مسطرة اعني التي تخلفت على المرحوم البطريرك المتوفى نحو ستة آلاف غرش بالربا والفوائد ثم انهم ايضاً ضبطوا ما انفقوا على دفنه وتجنيزه وحشره وما صرف على اخراج البيورلدي من الباشا باسم البطريرك الجديد وما صرفوا على تقرير ذلك في حجج شرعية برضا الجميع اعني كافة الرعية لاجل رفع المنازعة والمقاومة وحذراً من تجديد الامور المتقدمة فكان جملة ذلك المصروف غروشاً نحو اربعة آلاف فيكون جملة ما ترتب آلاف عشرة مضبوطة محررة ثم انها (كذا) قلبوها لاربابها بالفوائد وفي مدة قليلة صارت ثلاث (كذا) عشر الف غرش وزيادة وعلى هذا المبلغ المرقوم رهنوا جميع التاجات الاربعة القديم والكبير والحلبي والاستانبولي مع بقية البدلات وآلة القدس

ص ٤٤ - ٤٥

اقام السلطان في حلب ستة عشر يوم وما كانت الا كانها رؤية في النوم لان بقدومه قدم الخير وفيا واخصب فيها حينئذ كل شيء وصار طالع سعودها بوجوده سميا	اقام السلطان في حلب ستة عشر يوماً وما كانت الا كانها رؤية في المنام لان بقدومه قدم الخير الوفي واخصب فيها كل شي وصار طالع سعودها بوجوده

ص ٤٥

وذاعت الاخبار السارة المبشرة بالظفر في كافة البلاد وزينت جميعها سبعة ايام بفرح وافر الازدياد ثم عاد الى كرسيه ظافرًا مثفا واقام في قسطنطينية نصف سنة وتوفّى	وزاعت الاخبار السارة المبشرة بالظفر في كافة البلاد وزينت جميعها جملة ايام بافراح وافر الازدياد ثم عاد الى كرسيه ظافرا واقام في مدينة القسطنطينية سنة ونصف وتُوُفي

وهذا الشاهد الأخير وحده كاف للدلالة على ما اصاب متن الرحلة من التبديل والافساد فقد أُسقطت منه سجعة اولى « مثفا » ، واستعيض بثانية « تُوُفي » عن « تَوَفّى » ، وجعل مكان سبعة ايام « جملة ايام » ، وفي موضع نصف سنة « سنة ونصف » . واشباه هذا التحريف والتشويه كثيرة في سائر الكتاب.

ومن امثال المواضع التي اختلّ مبناها والتبس معناها بالتقديم والتأخير او غيّرت فيها بعض الاعداد قوله (ص ٤٧) « قلالي القديس ماري قرن اعني به ذلك الذي حبس الشياطين في الجرار البستاني وهي تقر في جبل . » وفي الاصل : « قلالي القديس ماري قرن البستاني وهم تقر في الجبل . اعني به ذلك حبس الشياطين في الجرار . » وشتّان بين الروايتين . وقوله (ص ٦٥) في كلامه عن خراج اهل غزة « قدره اربعماية وخمسة ثمانين اسماً . » وانما هو في نسخة الام « ماية وخمسة وثمانين اسماً » . ومثله في بيان اجزاء طبخة الميرون « قرنفل جيد عشرون درهم » وفي الاصل « ثلاثون درهم » .

ومما غيّره خطأً وهو صحيح في الاصل « الافاوه » بدلًا من « الافاويه » (ص ٩٧—٩٨) والمرد الهندي « القافلي » بالفاء عوضاً عن « القاقلي » بقافين (ص ٩٩)

و« حصلبان » بدلاً من « حصى لبان » (ص ٩٥) و« الماء المقدس » في مكان « الماء السخن » (ص ٩٧) . وقوله عن جباة الخراج « عيشتهم من السلطنة على كيس المسيحيين » ، وفيه تناقض . والاصل « من السنة للسنة » (ص ١١٣) . وكتابته « ارمقان » بالقاف عوضاً عن « ارمغان » بالغين (ص ٧٠) ويظهر انه لم يدرك معنى هذه اللفظة لانها وردت في عبارة اخرى « وفروا علينا ارمغان كثير » فحذفها وكتب مكانها «وفروا كثيراً علينا» (ص ٨٣) ، والكلمة دخيلة من التركية بمعنى الهدية . وفي تاريخ يشبك الظاهري (خزانة باريس رقم ٦٠٢٦) « جهزوني اليه ومعي ارمغان في مقابلة هدية » (ص ٢٥) ومثله : «توجهت لحدت وجهز معي ارمغاناً يليق به » (ص ٣٢) . وفي ثامن « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي طبعة شيكاغو : « خرج نور الدين من دمشق يتصيد في ارض قطيا ويعفور . . . واذا برجل اعجمي قد اقبل . . . فلما وصل الى نور الدين وكان صديقه . قال ابن الارمغان . فقال حاضر . . . فاحضر قماشاً وعدة مماليك » (ص ٢٠).

وفي عبارة الرحلة عدة الفاظ وتراكيب عامية كان من حقها ان يُحتفظ بها وان لا تُمس باقلّ اصلاح ، لتبقى في جملة آثار اللهجات البلدية في عهد كاتبها . ومن بعض ما صحّحه منها الطابع « اندرت انا الفقير (ص ٨٤) وما يشيقك يا اخي (ص ٨٨) ومرغة (ص ٩٦) ومُدَيونة (ص ١٠٦) والدين كلما له ينمو (ص ٦٥) ولايش ما كتبوه (ص ١١١) » وضع موضعها « درت . وما يشوقك . ومغرفة . ومدونة . والدين ما زال . ولسبب انهم .» وليته ابقاها على علّاتها ولم يكلف قلمه مثل هذا التصحيح الذميم .

ومما ظنه عامياً ولم يتوقف عن اصلاحه « الفمول » ، و« الاسكندراني » جعل في مكانها « الفملة ، والاسكندري ». وقد جاءت الفمول في كلام صلاح الدين الصفدي المشهور في كتابه « الوافي بالوفيات » ، في ترجمة الامير سنجر علم الدين القضاعي . قال « كان يستعمل الصناع والفمول . . . ويقال انه وقع بعض الفمول من اعلى الصقالة بجنبه ومات فما اكترث له » (الجزء الخامس عشر من خزانة باريس رقم ٢٠٦٦ ص ٩٨) فالفمول جمع فاعل كشهود وشاهد ،

وتزول وتازل ، وحضور وحاضر . ووردت نسبة الاسكندراني في كتب كثيرة « كالدرر الكامنة » لابن حجر العسقلاني ، و« عيون التواريخ » لابن شاكر الكتبي و« الاغاني » . قال الاصمعي لما انشده اسحق الموصلي بيتين من الشعر « هذا الديباج الخسرواني . هذا الوشي الاسكندراني » (الخامس من الاغاني ص٧٥-٧٦) افلا يرى حضرة الاب قسطنطين ان للشماس بولس المسكين اسوة بهذين الامامين ؟

وقد اسقط مرارًا عبارات كاملة بل اسطرًا برمّتها ، واخلّ بالمعنى المقصود منها او نقص من مدلولها كما في الصفحات ١٨ و٥٤ و٦٢ و٨٣ و٩١ و١٠٢ و١٠٥ و١٠٧ و١٠٨ و١٠٩ و١١٢ و١١٣ . وفي الصفحة ١٠١ وحدها ١٢ سطرًا ناقصة . ولا بأس ان نثبت هنا ما جاء في الصفحة ١١٢ ليرى المطالع كيف اضاع النقص بعض فوائدها . وقد اشرنا الى العبارات الساقطة منها قال: « وفي زمن وكالتي . . . مات خمسة من كهنة دمشق . وكانوا في ابتدا بطركية سيدنا البطرك نحو ثلاثين كاهن فمات منهم للآن خمسة عشر رحمهم الله . وكنت اعمل في نياحهم وبعد دفنهم عادة تلك البلاد . واجيب للحاضرين خمر وبقساط . واستيهم ثلاثة عن روح الميت . . . وكانوا الكهنة يتخطون على بعضهم بعض في خدمة جمعتهم ويدفنون الاموات ويعمدون ويقتدلون بغير اذن صاحب الجمعة . وبغير اذن الوكيل . فمنعتهم من ذلك . ولكن كل الامور التي تصدر في تلك الجمعة يقضيها ذلك الكاهن لشور الوكيل . وصار في ذلك نفع كلي . »

وسيأتي في الكلام على الاستدراكات التاريخية ما هو اعظم شأنًا واسوأ منبّة .

الاعلام الساقطة او المحرّفة

(ص ٥٩) طلع الى عبرا . وفي نسخة باريس : « طلع الى الحارة والى عبره »

(ص ٦٢) خرجنا الى غزير ورجعنا الى الديارة . وفي الاصل : « الى البربارة »

(ص ١٠٤) اسقط اسم « نقولاوس مطران عكار » في جملة من حضر المجمع الملتئم للحكم على مطران حمص ابن عميش ، كما هو مثبت في الاصل .

(ص ٦٩) شرطن الخوري ناصر الحموي على كرسي عكار . وانما هو «ناصر الحمصي»

(ص ١١١) وصل الى ادنة . وهي في نسخة الام « ادرنة »

(ص١٠٧و١٠٩) معرونة للقرية المعروفة بقرب دمشق . وفي الاصل « معرونيه » كما في كل المخطوطات القديمة .

(ص ٦٢) مرمريتا بدلاً من « مرمنيتا » كما وردت في اقدم الكتابات .

(ص ٨٤) ابتدينا في وفاء الديون ناصر (كذا) فاولهم كان علينا لبيت الخواجا نامر الدين . والصواب « ابتدينا في وفاء الديون فاولهم كان علينا لبيت الخواجا ناصر الدين »

(ص ١٦) بوتيليا حد بلاد المسكوف (بيائين مثناتين) وانما هي «بوتبليا» (بباء موحدة بعد التاء) حد سنار المسكوف Poutivl

(ص ٣٥) الشيخ جرجس بن سمور . وفي نسخة الام « جرجس ابن سموروا » (بواو بآخره والف) وهو الرسم المحفوظ في « علم بيان تاليد ذرية السيد ابرهيم المكنى بابن سموروا وزيجته . وذلك نقل من كتاب بخطه موجود يومئذ عند كاتبه ابرهيم خبيه ابن ابن المرحوم المذكور » (*Bibl. Bodl. LVI*) وهذا الرسم نفسه بالواو والالف يرى في ختام « كتاب مواعظ اثناسيوس بطريرك اورشليم » رقم ٩٩ من مخطوطات دير صيدنايا بقلم « الحقير في الكهنة باسم خوري ابرهيم المكنا باسم سموروا احد خدام كنيسة دمشق سنة ١٧٠٥ للمسيح »

الاغلاط التاريخية

هي من اهم ما اعتور هذا الكتاب الذي أُريد بنشره خصوصاً خدمة التاريخ . واذا كان لا مناص في مثل الحال التي نُسخ فيها من وقوع بعض التحريف والتبديل في تمثيل متنه اللغوي فالخطب على هوله احياناً يهون اذا قيس بخطب تشويش رواياته التاريخية او اغفال جانب من اوضاعها ، ولاسيما على يد عارف بما يترتب على هذا النسخ والمسخ من الفساد والتخليط . وحسبنا تعريفاً بمقدار تفريط الطابع وقلة مبالاته بمطابقة نسخته على مسودة المؤلف التي كانت بين يديه في باريس — وقد آلى على نفسه ان يحتفظ بها دون « ان يحذف او

يغير منها شيئاً » كما صرّح بلفظه في المقدمة . ان نعدد ههنا كل الفرطات التي اتفقت له في صفحة واحدة وهي الصفحة ١٨ من طبعته.

واول ما غيّر منها في السطر الاول تاريخ موت البطريرك يواكيم الانطاكي، ضبطه الشماس بالقلم سنة «ستة آلاف وتسماية وثلاثة وثلاثين للعالم» (١٤٢٥م)، ورواه الطابع بالارقام ٦٩٣٥ (١٤٢٧ م) اي بعد سنتين.

وبعد ان نقل الشماس وفاة البطريرك يواكيم المذكور عن كتاب قديم قال : «وفي كتاب آخر غيره انه في سنة ٦٩٣٥ كان مدبر الكرسي الانطاكي البطريرك كير مرقص . وكان على زمانه كير يوسف بطريرك القسطنطينية . وكير فيلوثاوس بطريرك الاسكندرية . وكير ثاوفيلوس بطريرك اورشليم . » فجعل الطابع سنة ٦٩٣٦ بدلاً من ٦٩٣٥ وحذف العبارة « كان مدبر الكرسي الانطاكي البطريرك كير مرقص » بكاملها بحيث اسقط اسم البطريرك مرقص من جملة بطاركة انطاكية . وذكر « يواكيم » بطريرك اورشليم في مكان « ثاوفيلوس » . فارتكب في ثلاثة اسطر من المتن اربعة اغلاط تاريخية ذات شأن . ثم اضاف اليها في الصفحة نفسها خطأً خامساً اضاع به فائدة خطيرة . وهو انه اغفل ، بعد حكاية كلام الشماس على مجمع فارنسة ، ان ينقل سطرين له نصّ فيها على وفاة البطريرك دروثاوس. وهما بعد السطر الاخير من المطبوع: « وتوفي هذا البطريرك المذكور نهار عيد مولد السيدة ثامن ايلول سنة ستة آلاف وتسماية وستين للعالم الموافق عاشر شعبان سنة خمس وخمسماية للهجرة ».

ومن الارقام التي غيّرها ايضاً اعتباطاً بغير حجة سنة حياة البطريرك دروثاوس ، جعلها ٧٠٣٩ وهي في متن الشماس ٧٠٤٩ (ص ٢٢) ومثلها سنة رسالة البطريرك ميخايل الحموي الى الكردينال ستاسفرينو الواردة في حاشية الصفحات ٣٣-٣٥ وهي في اصلها المصوّر عندنا مضبوطة بالقلم «الف خمسماية ستة وثمانين» فقدمها وجعلها ١٥٨٥ . وكان قبلاً في سنة ١٩٠٩ قد نشر في مجلة المشرق (ص ٦٢١) ذيلاً على مقالة مطارنة صور اشار فيه الى الرسالة المذكورة وروى هنالك تاريخها ١٥٨٣ بتقديم ثلاث سنوات . وهذا المثال وحده كافٍ لبيان تسرّع حضرة الخوري قسطنطين في الرواية والاثبات وقلة توقيه

في النقل.

ومن فرطاته ايضاً في التوقيت نقله سنة ٧١١٠ للعالم (١٦١٢ م) لرسامة ملاتيوس كرمه مطران حلب (ص ٣٩) دون ذكر اليوم والشهر، وهما كما في الاصل «ثاني عشر شهر شباط . وكتابته ١٢ ت ٢ (ص ٤٦) بدلاً من «ثاني وعشرين» شهر تشرين الثاني في تعيين يوم خروج المطران ملاتيوس من حلب. وروايته سادس عشر ايار (ص ٦٧) عوضاً عن «سادس شهر ايار» في تاريخ رسامة جراسيموس اسقف الزبداني والقرزل. ومثلها ايضاً ذكره في حاشية الصفحة ٧٣ ان البطريرك مكاريوس الحلبي بلغ القسطنطينية في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٦٥٢ . ولو كلف نفسه مراجعة رحلته لقرأ فيها قول البطريرك بلسان ولده الشماس يونس «دخلنا القسطنطينية ضحوة يوم الاربعا عشرون تشرين الاول . وكان لنا عن حلب يومئذ ثلاث شهور تمام» (ص١٥ من الاصل) . وكان سفره من حلب عشية الخميس تاسع عشر تموز كما جاء في الصفحة ٧٠ فيكون وصوله اذاً للقسطنطينية في شهر تشرين الاول بلا مراء.

وهذه الاغلاط والتبديلات التاريخية وحدها، فيما عدا ما تقدمها من التخليط والتشويش في المتن، كافية للاقناع بفساد هذه النخبة، وكثرة تصرف الطابع فيها تصرفاً تجاوز فيه كل حد واخلف به كل ظن ووعد . فلا سبيل اذاً للركون اليها او الاخذ عنها لمخالفتها الاصل المخطوط كل المخالفة . ومن ثم لا بد من ابتغاء طبعة اخرى تكون اصح نقلاً واتم رواية وادعى الى الثقة والاطمئنان .

وسنرى في مقالة ثانية هل كان البطريرك مكاريوس كاثوليكياً كما زعم حضرة الاب قسطنطين.